# تأصيل قواعد النَّقل والرِّواية الصَّحيحين

د. عبد الرحمن مُحمَّد سراج ❁

## هدف البحث:

لقد امتن الله على هذه الأمة فحفظ لها كتابها، وحفظ السنة بما حفظ به القرآن فهي منه وإليه، مكملة له موضحة مبيِّنة، وكان من أفضال الله أن هيأ للسنة من كل جيل رجالاً يخدمونها يُذَللون قُطُوفها للناس، ويُسْرِجون قناديلها في القلوب فَيَنْفُون بها الزيغ والتحريف وغُلُو الضالين، ويبنون بها قلاع المناعة وحصون الانتماء في أذهان الناشئة والمتعلمين، وكان من ثمار ذلك وضع القواعد والأسس التي يمكن على أساسها قبول الحديث واعتباره دليلاً شرعياً، أورده حيث لم يتوفر فيه ما يلزم من معايير القبول تلك.

والحق أن تلك القواعد قد اتسمت بالشمول والموضوعية والصلاحية التامة وأحسب أن توفيق الله كان له الأثر في الوصول إلى هذه الغاية حيث ترافق ذلك مع جهود المخلصين الذين قيضهم الله سبحانه وتعالى في كل عصر وزمان لحفظ سنة نبيه وللدفاع عن دينه ولذلك كان هدف هذا البحث هو:

١. الوصول إلى وضوح الرؤية والإدراك البالغ لحيثيات هذا العلم وقواعده وغاياته.
٢. بيان الفكر المنهجي عند المحدثين في ميدان نقد الحديث ورواته.
٣. سلامة التصور والمنهج ودقة النتائج.

❁ كُليَّة المعلِّمين . مركز البحوث التربويَّة . الجوف . المملكة العربيَّة السُّعوديَّة.

٤. الوقوف على الدقة الفائقة التي تميز بها المحدثون في أساليب نقدهم ومناهج بحثهم في قبول الروايات وردها.

٥. تكوين رؤية سليمة حول ما وصلت إليه هذه الأمة من مستوى فكري وحضاري، وما تميزت به في هذا الميدان أو ذاك من دون الأمم.

## المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} (آل عمران:١٠٢).

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً} (النساء:١).

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً} (الأحزاب:٧٠)[١].

أما بعد:

## أهمية السنة:

فإن من أعظم النعم وأجلّها، ما امتن الله به على هذه الأمة التي جعلها خير أمة أخرجت للناس، وبعث فيها أكرم الرسل وأحبهم إليه، فكان النعمة المعطاة، والرحمة المهداة سيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، أنزل عليه الكتاب ليكون نوراً ودستوراً

[١] هذه خطبة الحاجة رواه الترمذي حديث رقم (١١٠٥) والنسائي في السنن ٨٩/٦، وابن ماجة في السنن حديث رقم (١٨٩٢)، وحسنه الترمذي، وانظر كتاب خطبة الحاجة للألباني رحمه الله.

للبشرية جمعاء، وتولى حفظه وحماه من أيدي العابثين وسموم أفكار المفسدين إلى أن يقوم الناس لرب العالمين فكان هذا الكتاب العزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ثم أمره أن يبلغ ما أنزل إليه، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} (المائدة:٦٧).

ثم وكل إليه إيضاح ما جاء في هذا القرآن وتفصيله وتبيينه للناس، قال تعالى: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} (النحل:٤٤)، وقال عز وجل: {وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ} (النحل:٦٤).

وفي حين أعلمنا الله سبحانه وتعالى أنه أنزل كتابه الكريم على نبيه ﷺ ليبين للناس ما نزل إليهم – أخبرنا جل وعلا في الوقت نفسه أن رسوله المكلف بمهمة البيان لا ينطق عن الهوى – فقال عز من قائل: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} (النجم:٣،٤).

لذلك نرى أن السنة جاءت موافقة للقرآن فخصصت عامه، وقيدت مطلقه، ووضحت مبهمه، وشرحت أحكامه، وبذلك شكلت حياة المسلم فتدخلت في أخص خصائصه وهيمنت على حركته وسكونه ورسمت له المنهاج السوي الذي يقوده إلى خيري الدنيا والآخرة .

## وجوب اتباع السنة:

وإذا كانت السنة هدياً سوياً وتوجيهاً قويماً لا يأتيه الباطل، كان لزاماً على المسلمين أن يلتزموا به فلا يتجاوزوا حدوده، وأن يكرسوا جهودهم على كل المستويات للحفاظ عليه، وخدمته والسعي إلى تطبيقه وجعله واقعاً حياً معاشاً.

وقد وردت الآيات الكثيرة التي تدعوا إلى التزام سنة الرسول ﷺ كما أثرت أحاديث جمة صحيحة تحث على التمسك بالسنة والسير وفق نهجها، كما أن للصحابة مأثورات لا تحصى تدعو للعض على هدى الرسول ﷺ فهو وحده المنجاة من كل زيغ، والحامي من كل انجراف وراء الهوى الباغي . قال تعالى: {قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} (آل عمران:٣٢)، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} (النساء:٥٩)، وقال تعالى: {مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً} (النساء:٨٠).

فقد قرن الله طاعته بطاعة الرسول ﷺ حتى أننا نجد ذلك مذكوراً بصريح القول في ست عشرة سورة من القرآن – موزعة على واحد وعشرين موضعاً إمعاناً في تركيز هذا المعنى لأهميته وتأكيداً عليه لأنه مفتاح تطبيق الشريعة السمحة وبناء المسلم الحق .

كما ذكرت طاعة الرسول عليه السلام مقرونة بتقوى الله بصريح اللفظ وبصيغة {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ} (الشعراء:١١٠) في إحدى عشرة آية لبيان أن تقوى الله الحقيقية تلك التي تصدر عن طاعة الرسول ﷺ والتزام هديه .

بل إنَّ محبة الله لن تكون صادقة، ولن تكون ذات جدوى إلا إذا كانت مصحوبة، باتباع الرسول ﷺ . قال تعالى: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (آل عمران:٣١).

وقد جعل الله الانصياع للحكم النبوي والاحتكام لما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام، والرضا بما يشير به، أبرز آيات الإيمان وأجلى معانيه – قال تعالى: {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً} (النساء:٦٥).

وقد حذر سبحانه وتعالى من مخالفة أوامر النبي ﷺ، قال تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (النور:٦٣).

ثم إن النبي ﷺ حرص على تنبيه أمته إلى أهمية السنة ووجوب التمسك بها والتزامها في الجليل من أمورها والحقير، وحذر أولئك الذين ينتحلون الأسباب للزيغ عنها منذراً إيّاهم بالمروق والخروج عن الدين فقال ﷺ : "من رغب عن سنتي فليس مني"[١]، وفي حديث العرباض بن سارية:"....وفيه .... فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإيّاكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة"[٢].

ومما قاله للأمة في حجة الوداع: "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه"[٣]، وقال لهم في إحدى المناسبات: "لقد تركتم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك"[٤].

وقد بيّن عليه الصلاة والسلام أن طاعته طاعة لله تعالى، ومعصيته معصية لله تعالى، فقال: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله"[٥].

وأمر المؤمنين بالعمل بما يأمرهم به، وبتجنب ما ينهاهم عنه فقال: "ما أمرتكم به فخذوه، وما نهيتكم عنه فانتهوا "[١].

---

[١] البخاري ٥/١١، ومسلم ١٠٢٠/٢.

[٢] سنن أبي داود ٦٠٥/٢، وابن ماجة ١٦/١، والدارمي ٤٣/١، وقال عنه النووي – رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح .

[٣] مسلم ٨٩٠/٢، الموطأ ص ٥٦٠، وسنن أبي داود ٤٤٢/١ .

[٤] ابن ماجة ٤/١، وانظر قواعد التحديث ص ٥٣ .

[٥] ابن ماجة ٤/١ .

بل فقد جعل ﷺ حب ما جاء به والميل إليه بشغف وإخلاص شرط الإيمان وسبيل الإسلام فقال: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به"[٢].

## جهود العلماء سلفاً وخلفاً في المحافظة على السنة:

أما الصحابة رضوان الله عليهم فلم يألوا جهداً في حفظ السنة والحض على العمل بها وتطبيقها مستنيرين في ذلك بأوامر القرآن وهدي محمد ﷺ، فالتفوا حول النبي ﷺ بآذان صاغية، وبقلوب واعية وبصدور حافظة فما تركوا من أقواله قولاً إلا وفي القلوب نقشوه، ولا فعلاً إلا وضبطوه، ولا تقريراً إلا وأحاطوا به علماً، علموا أنه رسول الله فتتلمذوا عليه، وأيقنوا أنه وحي بجسده وروحه ﷺ فاقتدوا به، وأدركوا أنه سيد ولد آدم فلم يفوتوا فرصة حياته "طاب حياً وميتاً بأبي هو وأمي ﷺ"، "وآمنوا أن حبه أحب الأشياء إليهم بعد حب الله تعالى – فتفانوا وبذلوا حتى رضى الله عنهم"[٣].

وهكذا علم الصحابة رضي الله عنهم عظم الأمانة التي عليهم للأمة عبر العصور وأدركوا ثقل هذا الحمل الذي سيسائلهم الله تعالى عنه، ثم رغبوا أيضاً بالأجر العظيم الذي سينالونه إذا أدوا هذه الأمانة، وبالثواب الجزيل الممتد من واجب نشر الدين وتبليغ الدعوة ونصرة الإسلام، وانتشال العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة يدل على حرص هؤلاء الصحابة ما رواه الإمام البخاري من حديث عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: "كنت أنا وجار* لي من الأنصار من بني أمية بن زيد – وهي من عوالي المدينة – وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ، ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك"[٤].

---

[١] ابن ماجة ٣/١ .

[٢] رواه النووي في أربعينه وقال عنه حديث حسن صحيح.

[٣] المنهج المقترح لفهم المصطلح، ص١٤.

[*] هذا الجار هو: عتبان بن مالك بن عمرو بن العجلان الأنصاري الخزرجي ﷺ: انظر العيني – عمدة القارئ ١٠٥/٢.

[٤] صحيح البخاري كتاب العلم باب التناوب في العلم ٣٣/١.

ويدل أيضاً رحلة سيدنا جابر بن عبد الله الأنصاري مسيرة شهر في سبيل الحصول على حديث واحد إلى الشام حتى يسمعه من الراوي الأصلي، وليزداد تثبتاً، كما ارتحل في حديث واحد لمصر أيضاً .

كما ارتحل أبو أيوب الأنصاري ﷺ إلى عقبة بن عامر في مصر من أجل أن يسمع حديثاً واحداً منه، فسمعه ثم قفل راجعاً من وقته بعد سماعه له[1].

وهذا الحرص من الصحابة رضوان الله عليهم سرى لمن بعدهم من التابعين فمن بعدهم، وإن في رحلات التابعين الكثيرة لملاقاة الصحابة . رضوان الله عليهم . وتلقى الحديث عنهم وما تجشموا في هذه الرحلات من عناء ومشقة، ما يعطينا أوضح صورة على ذلك الحرص والشأو الذي بلغه.

فهذا إمام التابعين سعيد بن المسيب ﷺ يقول: "إن كنت لأسير ثلاثاً في الحديث الواحد"[2]، وهذا الإمام الشافعي يقول: "لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن فحفظ كلمة تنفعه فيما يستقبله من عمره رأيت أن سفره لا يضيع "[3].

وهكذا تحمل التابعون بإحسان عن الصحابة رضي الله عنهم العلم والإيمان والشعور العميق بعظم المسئولية الملقاة عليهم بتبليغ العلم والإيمان للأجيال من بعدهم كما بلغتهم وراحوا يؤكدون ما درج عليه الصحابة من وجوب الأخذ بالسنة وتطبيق أحكامها، فكانت لهم أقوال مأثورة ومواقف مشرفة لن تبلى على مر الزمن.

---

[1] انظر هذه الأخبار وغيرها كثير في كتاب الرحلة في طلب الحديث.
[2] المحدث الفاصل ص٢٢٣.
[3] رواه الخطيب في الرحلة ص٤٩.

فقد جاء كتاب عمر بن عبد العزيز إلى عروة بن محمد بن عطية السعدي: "كتبت إلي تسألني عن القضاء بين الناس، وإن رأس القضاء: اتباع ما في كتاب الله، ثم القضاء بسنة رسول الله ﷺ"[1].

وقال رجل للتابعي الجليل مطرف بن عبد الله بن الشخير: "لا تحدثونا إلا بالقرآن فقال له مطرف: والله ما نريد بالقرآن بديلاً، ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا ـ يريد رسول الله ﷺ "[2].

وهذا عبد الرحمن بن يزيد أحد أفاضل التابعين يرى رجلاً محرماً في موسم الحج قد ارتدى ثوباً مخيطاً، فيرشده إلى نزع ثيابه، والأخذ بسنة النبي ﷺ في لباس الإحرام فيقول الرجل لعبد الرحمن: ائتني بآية من كتاب الله تنزع ثيابي؟ فلا يرى عبد الرحمن خيراً من أن يقرأ عليه قول الله تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا} (الحشر:٧).

ونظراً لما يدركه السلف الصالح من أهمية السنة فإنهم حضوا أبناءهم على تعلمها منذ الصغر، يقول الأعمش سليمان بن مهران مخاطباً جمهور المسلمين: "عليكم بملازمة السنة وعلموها للأطفال، فإنهم يحفظون على الناس دينهم إذا جاء وقتهم"[3].

وهكذا قيض الله سبحانه وتعالى لهذه السنة رجالاً من أهل العلم والفضل يحفظونها ويكتبونها ويمحصونها ويخرجون ما كان دخيلاً عليها، أفنوا حياتهم في خدمتها ووجدوا الراحة في السهر على حفظها وجمعها ـ مصداقاً لقوله ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة"[4].

---

[1] جامع بيان العلم وفضله ٢/٣٠ .
[2] مقدمة الكفاية .
[3] جامع بيان العلم وفضله ٢/٢٣١.
[4] قواعد التحديث ص ٥١.

وما هذه الجهود المبذولة من الباحثين والدارسين وطلاب العلم إلا مواصلة لتلك الجهود التي بذلها سلف هذه الأمة، وإن الدراسات الحديثة المعاصرة قد كثرت كثرة بالغة، ولو استعرض باحث الدراسات الجامعية التي لا تزال حبيسة مكتبات الجامعات التي كتبت فيها لرأى عدداً هائلاً وكماً مذهلاً من ألوف الصفحات المكتوبة والمحققة.

ولا شك أن الأمة اليوم بحاجة إلى المزيد من أولئك المنافحين البررة الذَائِدِينَ عن حمي السنة، فلا بقاء ولا نماء للأمة إلا إذا نجحت ـ غير سائرة القهقري ـ في أن تصل مستقبلها بماضٍ كانت فيه ذات سيادة وريادة.

ولما كانت جهود المحدثين تقوم على الرواية نقلاً ونقداً وتمحيصاً رأيت أن أجعل عنوان هذا البحث – (**تأصيل قواعد الرواية والنقل الصحيحين**) والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن يجعلني من زمرة الذين يذبون عن حياض هذه السنة الشريفة. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

## المبحث الأول: المرتكزات الأساسية التي قام عليها منهج المحدثين في الرواية، وتحته مطلبان:

### المطلب الأول: الرواية وما امتازت به في الإسلام:

لا شك أن الرواية التي هي عبارة عن: "نقل الأخبار ونسبتها إلى من عزيت إليه" لا تختص بها أمة دون أخرى، فلكل أمة مروياتها، وكل أمة تسعى لحفظ أخبارها وتعني بتسجيل تواريخها عبر أشعارها أو دواوينها، أو النقش على معابدها وآثارها.

والرواية هي طريق للعلم متى كانت صحيحة ثابتة، إذ منها ما هو كذب قطعاً كالمعارض للثابت عقلاً أو حساً، ومنها ما يحتمل الصدق أو الكذب مما لم يقم الدليل القطعي على صدقه أو كذبه، ومنها ما هو صحيح مقبول مما توفرت فيه شروط القبول .

ولما جاء الإسلام وقع الاهتمام بالرواية اهتماماً بعيداً باعتبارها تتعلق بنقل المصدرين الأساسيين في التشريع، وهما كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وقد سبق أن أشرت في المقدمة على أهمية السنة باعتبارها المفصلة والموضحة والمبينة والمقيدة والشارحة لما جاء في القرآن:

ومعرفة ما جاء به الرسول ﷺ مما هو بيان للقرآن لا طريق إليها إلا بمعرفة المنقول عنه، وبالضرورة عَلِمْنّا أن ذلك المنقول لم يصلنا كما وصلنا القرآن، وإنما هي الرواية التي يغلب عليها نقل الفرد عن الفرد أو الأفراد القليلين عن أمثالهم، وما عاد إلى مثل ذلك جاز عليه ما يجوز أن يقع من غير معصوم كالخطأ والوهم بل والكذب[1].

ولذلك اهتم العلماء بالرواية اهتماماً بالغاً فعرفوها تعريفات دقيقة ووضعوا لها قواعد وأصولاً تضمن دقة نقلها وشدة التحري في حفظها ويكاد علماء السنة يختصون بها لشدة عنايتهم بها وانتسابهم إليها[2] حتى أصبحت الرواية تمثل منهج المسلمين في نقل الخبر وفي معالجته فعرفوه بقولهم " نقل الحديث وإسناده إلى من عزي إليه بصيغة من صيغ الأداء "[3].

ووضعوا لقبولها شروطاً صارمة جعلتها تتميز عن الرواية عند غيرهم . ظهر ذلك واضحاً جلياً منهجاً متكاملاً . دقيق المصطلح مستقيم المعيار . حفظ الحديث الشريف وضبطه باعتباره المصدر الثاني للتشريع.

## المطلب الثاني: أصول القواعد العلمية للرواية في القرآن والسنة:

[1] تحرير علوم الحديث ١/٦٠٥.
[2] أصول علم الحديث بين المنهج والمصطلح ص ٣١ .
[3] محاضرات في علوم الحديث ١/١٩.

لقد قررت نصوص القرآن الكريم أصولاً علمية كانت المنارة التي أضاءت للصحابة والمحدثين من بعدهم الطريق لصيانة الرواية وأداء الحديث على الوجه الصحيح، كما سمع من قائله ﷺ، وهذه الأصول على جانب كبير من الأهمية لخطورة موقعها والدلالة الظاهرة الواضحة بنصوصها، ومع هذا فقد غفل كثير من الباحثين عنها وعن أهميتها ودورها في تأصيل قواعد الرواية والنقل الصحيحين[1].

فالقرآن دعا إلى التحري في الأمور والتثبت فيها حيث قال تعالى: {وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً} (النساء:٨٣).

يقول الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: "إنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحقيقها، فيخبر بها ويفشيها وينشرها وقد لا يكون لها صحة"[2].

وأيضاً قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} (الحجرات:٦) وفي هذه الآية أمر الله تعالى بالتثبت في الأخبار، كما وَضَعَتْ أساساً من أهم الأسس التي يجب أن يتبعها المسلم عندما يتلقى الخبر، وهو البحث عن عدالة راويه، وأكد ذلك عندما قال تعالى: {وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ} (الطلاق:٢) وقال: {مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء} (البقرة:٢٨٢).

كما دعا القرآن إلى تحرير العقل الإنساني من إساره وتحريره من هيمنة الجمود والتبعية والتقليد بعد أن كان رهين الأساطير والخرافات والأوهام حيث إن الأساطير تقوم في غالبها على الخيال الكاذب والخرافة الباطلة، ولذلك حاربها القرآن الكريم وحارب معها

[1] المنهج العلمي للتعامل مع السنة النبوية ص٧.
[2] تفسير ابن كثير ٥٢٩/١.

الكذب والوهم والنسيان، وطالبهم بإقامة البرهان والدليل والبينة والشاهد، والشروع في إقامة منهج للتثبت والصدق لأنه الأساس الذي تُقَوِّم العقيدة الصحيحة والشريعة الصالحة، قال تعالى: {إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى * أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّى} (النجم:٢٣)، وقال تعالى: {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً} (الإسراء:٣٦).

ولخطورة الكذب في الرواية جاءت النصوص ظاهرة في الزجر عنه وتغليظ حرمته حتى أنه جُعل من صفات غير المسلمين، كما جاءت في قوله تعالى: {إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ} (النحل:١٠٥)، وقال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} (الأعراف:٣٣).

ومن تلك الأكاذيب واقعة الإفك التي نزل فيها القرآن الكريم تبرئة لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ * لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ} (النور:١١، ١٢).

وقد أورد الإمام البخاري هذه الواقعة تحت أبواب متعددة في صحيحه[1] منها باب: "تعديل النساء بعضهن بعضاً"، وباب: "إن الذين جاءوا بالإفك"، وباب: "لولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم".

[1] صحيح البخاري كتاب الشهادات باب ١٥، تفسير سورة يوسف باب ٣، تفسير سورة النور باب ٥، ٦، كتاب الإيمان باب ١٣، ١٨، كتاب الاعتصام باب ٢٨، كتاب التوحيد باب ٣٥، ٥٢ وصحيح مسلم كتاب التوبة حديث ٥٦، الجزء ٤/٢١٩٤.

ثم ما كان من أمره ﷺ في التحذير من الكذب عليه وبيان ما يترتب على ذلك من الوعيد الشديد، فقد روى الشيخان وغيرهما من طرق كثيرة بلغت حد التواتر أن رسول الله ﷺ قال: "من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"[1].

وقد ساق السيوطي طرق هذا الحديث فبلغ نيفاً وتسعين طريقاً وقال: "وذكر ابن منده في مستخرجه أن هذا الحديث أيضاً ورد من طريق اثنين وعشرين صحابياً"[2].

قال العلماء: إن هذا التواتر العجيب لهذا الحديث عن النبي ﷺ يدل على أنه كان يعلم أن حديثه سوف يُرْوَى، وأنه يدخل فيه الغث، فرأى من الضرورة الشرعية أن ينبه أصحابه، ويلقي في أذهانهم أنه الدين ويجب أن يتحروا فيه غاية التحري.

لقد استلهم المحدثون أصول قواعد الرواية من هذه النصوص التي أوضحت وأرسَتْ المنهج الرشيد القائم على المحاكمة والاختبار، فقد حقق القرآن هذه المنهجية في أوسع مجالاتها وأوضح صورها.

ونظراً لما للسنة من أهمية بالغة في حياة المسلم فقد تجلّت هذه المنهجية في السنة في أجلى صورها، حيث إن الحاجة كانت ماسة لتنقية السنة أثناء روايتها وجمعها ونقدها وتصنيفها[3].

وكان دافع اهتمام المحدثين بذلك أن هذا فريضة من فرائض الدين وأن أحكام الشريعة لا تؤخذ من قبل رواة ضعفاء، أو تؤسس على أخبار واهية أو مكذوبة. ونستطيع بناء على ذلك أن نقول : إن منهج المحدثين في تأصيل قواعد الرواية – منهج قرآني مستمد من القرآن والسنة النبوية، وأنه منهج تاريخي نقدي لا يسلم بالنص دون محاكمة ونقد.

---

[1] صحيح البخاري مع الفتح كتاب العلم (١/٢٠٠)، وصحيح مسلم المقدمة (١/١٠) حديث٣.
[2] تحذير الخواص ص٥٩.
[3] المنهج العلمي للتعامل مع السنة النبوية عند المحدثين ص١١.

## المبحث الثاني: دور الصحابة رضوان الله عليهم في تأصيل قواعد الرواية:

### المطلب الأول: الوسائل التي استخدموها في سبيل التوثق والتحقق من الحديث:

لا شك أن أصحاب النبي ﷺ هم أول من بدأوا بتأصيل هذه القواعد وتفصيلها وإنزالها إلى أرض الواقع، وكان من البدهي أن يتأثر هؤلاء رضوان الله عليهم ـ بما سمعوه وشاهدوه من النبي ﷺ، وبخاصة بعد أن تواتر لديهم تحذيره الشديد من الكذب عليه، كما أنه وُجِدَ أمر مشدد من النبي ﷺ في تبليغ حديثه لمن بعدهم، وذلك حتى يبقى محفوظاً وحتى لا تضيع السنة النبوية بين الغفلة والنسيان.

كما أنهم فهموا أنه لابد من الحيطة الشديدة في قبول ما يضاف إليه ﷺ من الآخرين، وكذا التأكد من صحته قبل أن يحدثوا به عن النبي ﷺ، ولذلك تجلّت لنا صورة من التثبت القائم على أسس متينة كانت النواة الأولى لما يسمى بالمنهج العلمي في قبول رواية الأخبار.

لذلك فقد اجتمع في هذا الجيل من دوافع نشر السنة وتعليمها ومن أسباب التوثق والتورع ما جعله يقوم بأداء الأمانة خير أداء من غير زيادة ولا نقصان، واتخذوا وسائل استخدموها في سبيل التحقق من الحديث من بينها:

١. الحرص على حضور مجلسه ﷺ مع الإنصات التام وهذا كان له أكبر الأثر في حفظ الحديث وصيانته من التلف أو الضياع ـ وقد مر بنا قصة عمر مع جاره في حضور مجلس النبي ﷺ[١] بالتناوب، ويدل أيضاً قول البراء بن عازب: "ما كل الحديث سمعناه من رسول الله ﷺ، كان يحدثنا أصحابنا، وكنا مشتغلين في رعاية الإبل، وأصحاب رسول الله ﷺ كانوا يطلبون ما يفوتهم سماعه من رسول الله ﷺ فيسمعونه من أقرانهم،

[١] صحيح البخاري كتاب العلم باب التناوب في العلم (٣٣/١) .

وممن هو أحفظ منهم وكانوا يشددون على من يسمعون منه"[1]، وكما هو معلوم فإن التلقي المباشر من أقوى وسائل الإخبار.

٢. السؤال عما لم يفهموه، أو المراجعة في الأمور المشكلة للمعرفة والفهم، من ذلك حديث أنس ﷺ في وفود ضمام بن ثعلبة ﷺ – على النبي ﷺ، ليتوثق من نقل الرسول الذي أرسله النبي ﷺ إلى قومه، حيث قال ضمام للنبي ﷺ: "يا محمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك؟ قال: صدق. قال: فمن خلق السماء؟ قال ﷺ الله. قال: فمن خلق الأرض؟ قال: الله. قال: فمن نصب هذه الجبال، وجعل فيها ما جعل؟ قال: الله. قال: فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك؟ قال: نعم ...الحديث"[2].

٣. كتابة الحديث عنه ﷺ، وذلك لحمايته من النسيان والضياع والرجوع إليه عند الحاجة[3].

٤. الحفظ والمذاكرة والتطبيق حيث أنه بالمذاكرة تتكشف جوانب كثيرة من دقائق الحديث النبوي مما يساعد على التحليل واستنباط الأحكام منه.

ومن هذا يمكن لنا القول بأن أبرز قواعد المنهج في هذه الفترة كانت من أقوى المناهج حيث أنها تقوم على منهج الملاحظة المباشرة الذي يعتمد اعتماداً كلياً على رؤية حسية مباشرة للمصدر والأصل للخبر، وبذلك يحصل اليقين بصدق ما سمع ونقل.

---

[1] معرفة علوم الحديث ص١٤ النوع الثالث.

[2] أخرجه البخاري رقم (٦٣) ومسلم رقم ١٢ واللفظ لمسلم .

[3] صحيح البخاري مع الفتح كتاب العلم ٢١٧/١، وسنن الدارمي ١٠٣/١.

كما أنه منهج يقوم على التجربة وهذا ما نلاحظه من خلال الحفظ والمذاكرة والتطبيق كما أنه منهج يقوم على الوصف والتحليل وذلك من خلال الاهتمام بمصدر الحديث الذي هو النبي ﷺ[1].

## المطلب الثاني: أبرز سمات هذا المنهج في هذه الفترة:

وتتلخص سمات هذا المنهج في هذه الفترة فيما يلي:

**أولاً: التثبت والتحري:** ومن أمثلة توثق الصحابة رضوان الله عليهم للسنة في حياته ﷺ، ما ثبت في حديث عمر بن الخطاب ﷺ في اعتزال النبي ﷺ نساءه، وما شاع حينها بين الصحابة أنه ﷺ طلقهن، فجاء عمر ﷺ يستأذن عليه ليستثبته عن الخبر، فقال عمر للنبي ﷺ: أطلقت نساءك؟ فقال: لا. فكبَّر عمر ﷺ وقال يا رسول الله: إني دخلت المسجد والمسلمون ينكتون بالحصى، يقولون: طلَّق رسول الله ﷺ نساءه. أفأنزل فأخبرهم أنك لم تطلقهن؟ قال: نعم. إن شئت ..."[٢].

وأيضاً من أمثلة التثبت حديث أنس ﷺ في وفود ضمام بن ثعلبة الذي ذكرناه قريباً.

أما بعد وفاته ﷺ فقد ازداد شعور الصحابة بالضرورة القصوى للتوثق والتثبت، يدل على ذلك ما أورده الإمام الذهبي عند ترجمة أبي بكر الصديق حيث قال: وكان أول من احتاط في قبول الأخبار، فقد روى ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب أن الجدة جاءت إلى أبي بكر ﷺ تلتمس أن تورَّث فقال: "ما أجد لك في كتاب الله شيئاً، وما علمت أن رسول الله ﷺ ذكر لك شيئاً "ثم سأل الصحابة. فقال المغيرة: "حضرت رسول الله ﷺ

---

[1] المنهج العلمي للتعامل مع السنة، ص (١٥) .

[٢] فتح الباري ١١/١٨٩-١٩٤، ومسلم ٤/١٩١، وعمدة القارئ ٢/١٠٥ المنيرية.

يعطيها السدس. فقال أبو بكر: هل معك أحد؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل الذي قاله المغيرة، وأنفذه أبو بكر"[1]، وقال الذهبي عنه أيضاً: "وإليه المنتهى في التحري في القول وفي القبول"[2].

ومن أمثلة التثبت ما وقع للخليفة الثاني عمر بن الخطاب ﷺ، فعن أبي سعيد الخدري قال: "كنا في مجلس عند أبيّ بن كعب فأتى أبو موسى الأشعري مغضباً (وفي رواية فزعاً أو مذعوراً) حتى وقف فقال: أنشدكم الله!! هل سمع أحدٌ منكم رسول الله ﷺ يقول: "الإستئذان ثلاث، فإن أذن لك وإلا فارجع؟ قال: أُبيّ وما ذاك؟! قال: استأذنت على عمر بن الخطاب أمس ثلاث مرات فلم يؤذن لي فرجعت، ثم جئته اليوم، فدخلت عليه، فأخبرته أني جئت بالأمس فسلمت ثلاثاً، ثم انصرفت. قال قد سمعناك ونحن حينئذٍ في شغل. فلو استأذنت حتى يؤذن لك؟ قال: استأذنت كما سمعت رسول الله ﷺ. قال: فوالله لأوجعن ظهرك وبطنك أو لتأتين بمن يشهد لك على هذا؟ فقال أبيّ بن كعب: فوالله لا يقوم معك إلاّ أحدثنا سناً. قُم يا أبا سعيد. فقمت حتى أتيت عمر، فقلت: قد سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا"[3].

بل لقد كان عمر ـ كما يقول الإمام الذهبي: "هو الذي سَنَّ للمحدثين التثبت في النقل"[4] ـ يعني أنه حرص على إشاعة هذه السنة وتعليمها. وقال الذهبي: وهو ـ يعني أن عمر أحب أن يتأكد عنده خبر أبي موسى بقول صاحب آخر. ففي هذا دليل على أن

[1] تذكرة الحفاظ (٢/١).
[2] تذكرة الحفاظ (٥/١).
[3] البخاري رقم (٦٢٤٥) وانظر الفتح ٣٢/١١، ومسلم رقم (٢١٥٣) واللفظ لمسلم .
[4] تذكرة الحفاظ (٦/١).

الخبر إذا رواه ثقتان كان أقوى وأرجح مما انفرد به واحد، وفي ذلك حض على تكثير طرق الحديث لكي يرتقي عن درجة الظن إلى درجة العلم، إذ الواحد يجوز عليه النسيان والوهم[1].

أما الإمام عليّ كرّم الله وجهه فقد كان إماماً عالماً متحرياً في الأخذ بحيث أنه يستحلف من يحدثه بالحديث، فقد روى عنه أنه قال: "كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً، نفعني الله بما شاء أن ينفعني منه، وكان إذا حدثني عنه غيره استحلفته، فإذا حلف صدقته، وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من عبد مسلم يذنب ذنباً ثم يتوضأ ويصلي ركعتين ثم يستغفر الله إلاَّ غفر له"[2].

هكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ يتحرون ويتثبتون، وهناك أمثلة لتثبت الكثيرين، منهم زيد بن ثابت[3]، وعمران بن حصين[4]، وأم المؤمنين عائشة[5]، وعبد الله بن عباس[6]، وعبد الله بن عمر، وأبو سعيد الخدري[7] وغيرهم .

**ثانياً: ومن سمات هذه الفترة أيضاً:** الاحتياط في التحديث ويتمثل ذلك في التقليل من الرواية، ويعتبر رائد هذا الفريق الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ الذي كان من أشد الصحابة إنكاراً على الإكثار من الرواية وفي ذلك يقول الإمام ابن قتيبة: "كان عمر أيضاً شديداً على من أكثر الرواية، أو أتى بخبر في الحكم لا شاهد عليه، وكان يأمرهم بأن يقلوا الرواية، يريد بذلك ألا يتسع الناس فيها ويدخلها الشوب ويقع التدليس والكذب من المنافق والفاجر والأعرابي، وكان كثير من جلة الصحابة

---

[1] تذكرة الحفاظ (٦/١).
[2] تذكرة الحفاظ (١٠/١) . وقال الذهبي رحمه الله ص (١١) إسناده حسن.
[3] صحيح مسلم ٩٦٤/٢ كتاب الحج باب وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض حديث (٣٨١).
[4] الترمذي ٧٩/٢.
[5] صحيح البخاري مع الفتح ١٤٨/٨ كتاب الاعتصام باب (٧) ومسلم (٢١٥٩/٤) كتاب العلم.
[6] مقدمة مسلم، ص (١٢).
[7] صحيح البخاري ٨٩/٢، ومسلم ٦٥٣/٢.

وأهل الخاصة برسول الله ﷺ .كأبي بكر والزبير، وأبي عبيدة، والعباس بن عبد المطلب . يقلون الرواية عنه، بل كان بعضهم لا يكاد يروى شيئاً، كسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة"[1].

**ثالثاً: ومن سمات هذه الفترة أيضاً:** نقد معنى الحديث حيث إن الصحابة رضوان الله عليهم وضعوا الضوابط الأساسية التي يمكن بمقتضاها الحكم على متن الحديث النبوي في حال وجود ما يستدعي النظر فيه، من ذلك:

١. عرض السنة على القرآن الكريم حيث إن القرآن الكريم هو المقياس الأول فإذا ما وجد حديث يخالف ظاهر القرآن الكريم اعتبر الحديث ضعيفاً مردوداً، وهذا ليس معناه أن تكون السنة مخالفة للقرآن الكريم، لأن القرآن والسنة الصحيحة هما من عند الله ولا يمكن أن يختلفا أو يتناقضا، وعلى هذا فيكون التناقض ناشئاً عن سبب آخر هو : (١- خطأ الناقل أو نسيانه، ٢- عدم النقل الكامل للمسموع، ٣- عدم فهم المراد من لفظ ﷺ) .

وقد استخدم هذا المقياس في نقد المتن والحكم عدد من الصحابة الكرام منهم : عمر بن الخطاب ﷺ في رفضه لخبر فاطمة بنت قيس في نفقة المبتوتة حيث قال: "لا نترك كتاب الله وسنة نبينا ﷺ لقول امرأة لا ندري لعلها حفظت أو نسيت"[2].

ومنهم عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها في رفضها لخبر عمر وابنه عبد الله في حديث "تعذيب الميت ببكاء أهله عليه" حيث قالت: "يغفر الله لأبي عبد الرحمن أما أنه لم يكذب ولكنه نسي أو أخطأ"[1].

---

[1] تأويل مختلف الحديث ص (٣٠).
[2] صحيح مسلم كتاب الطلاق (١١١٤/٢).

ومنهم ابن عمر رضي الله عنهما في رده لخبر أبي ثعلبة الخشني في أكل لحوم السباع حيث قال: "لا ندع كتاب ربنا لحديث أعرابي يبول على ساقيه"[٢] وغير هذه الأمثلة كثيرة .

ويجب أن يُتَنَبَّه إلى مسألة مهمة في هذا الأمر وهي: "أن المخالفة المقصودة هنا المخالفة الكاملة من كل وجه مع عدم إمكان الجمع بأي وجه من أوجه الجمع المعروفة وهذه لم توجد أصلاً ولله الحمد"[٣].

٢. عرض السنة على السنة: فكما تم نفي وجود التعارض بين السنة الصحيحة والقرآن الكريم. أيضاً ننفي وجود تعارض حقيقي بين بعض السنة الصحيحة وبعضها البعض، فقد قال الإمام ابن خزيمة: "لا أعرف أنه روي عن رسول الله ﷺ حديثان بإسنادين صحيحين متضادان. فمن كان عنده فليأت به حتى أولف بينهما"[٤].

فإذا استقر عندنا أن كلام النبي ﷺ لا يناقض بعضه بعضاً ولا يضاربه، علمنا أن ذلك التناقض والتضارب يكون عائداً إلى واحد من الأسباب التالية: (١- وقوع خطأ في النقل، ٢- روايته بالمعنى وتوالي ذلك من الرواة حتى بَعُدَ عن النص الحقيقي الذي نطق به ﷺ، ٣- رفع الراوي ما هو من كلام الصاحب نفسه وغير ذلك).

٣. عرض روايات الحديث الواحد بعضها على بعض، وهو من أبرز الوسائل التي قام به المحدثون في سبيل التوصل إلى الحكم الصحيح على الأحاديث وبغيرها يصعب الحكم على الحديث حكماً صحيحاً.

---

[١] صحيح مسلم كتاب الجنائز ٦٤٣/٢.
[٢] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١٨/٧).
[٣] المنهج العلمي للتعامل مع السنة النبوية ص (٩٤).
[٤] الكفاية ص (٦٠٦).

٤. عرض متن الحديث على الوقائع والمعلومات التاريخية حيث إن التاريخ يعتبر من أهم الوسائل التي استخدمها المحدثون للوقوف على صحيح الأحاديث من ضعيفها.
٥. النظر إلى لفظ الحديث ومعناه وهو في الحقيقة أمر وضعه العلماء لمواجهة سيل الأحاديث الموضوعة، وبيان زيفها وكذبها واستحالة أن تكون مما قاله النبي ﷺ.
٦. النظر العقلي في الحديث، وليس معنى هذا أن العقل مقياس لقبول الشرع أو رده لأن العقل يجب أن يكون منضبطاً بضوابط الشرع وموجهاً من قبله، ولكن المراد من النظر العقلي هو بيان أن ما ثبت في الشرع لا يتعارض مع العقل السليم الذي التزم بالمنهج الصحيح البعيد عن الميول والأهواء الشخصية فإذا أوردت أخبار منسوبة إلى النبي ﷺ، وتضمنت ما يرفضه العقل فإن ذلك مدعاة للتثبت فيها أوردها.

تلك هي أبرز سمات هذا المنهج الذي سلكه الصحابة في تأصيل قواعد الرواية.

## المبحث الثالث: جهود التابعين في تأصيل قواعد الرواية، وفيه مطلبان:

### المطلب الأول: الوسائل التي استخدموها:

لا تعدوا أن تكون امتداداً للوسائل التي اتبعها الصحابة من أجل التثبت من الحديث والدقة في نسبته إلى النبي ﷺ .

فقد ظلَّ الصحابة رضوان الله عليهم حرّاس هذه الشريعة ومعلميها للناس، فلما وقعت الفتنة[1] .كما قاله الإمام محمد بن سيرين وظهر الكذب على رأس أربعين للهجرة[1]

[1] الفتنة: المراد بها مقتل عثمان ﷺ.

من قبل الزنادقة وأهل البدع، قام الصحابة يعلمون تلامذتهم من التابعين أن ينظروا عمن يأخذون دينهم[٢] لأن الحديث النبوي دين.

ولذلك نجد صغار الصحابة الذين رأوا شيوع الكذب في الحديث النبوي أخذوا يحتاطون ويشددون في قبوله، فقد روى مسلم في مقدمة صحيحه عن قيس بن سعد عن مجاهد قال: "جاء بشير العدوي إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله ﷺ، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه، فقال: يا ابن عباس مالي لا أراك تسمع لحديثي!! أحدثك عن رسول الله ﷺ ولا تسمع؟ فقال ابن عباس: إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله ﷺ ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف"[٣].

لقد كان رد ابن عباس هذا عبارة عن إعلان للمنهج الذي بدأ يسود ذلك العصر في تلقي السنة، ولقد كان في ذلك التثبت إنشاء لعلم جديد من علوم الحديث وهو علم الجرح والتعديل الذي كانت قد وضعت أُسُسه وأصّلت قواعده في الأصلين الكتاب والسنة كما سبق بيانه.

فابن عباس يعلن هنا عن بداية حقبة جديدة للرواية تختلف عن الحقبة السابقة لها، حيث لم يكن يحدث عن رسول الله ﷺ في تلك الحقبة السابقة إلا من زكاهم الله تعالى ورسوله ﷺ من الصحابة رضي الله عنهم، الذين لم يكن يستلزم قبول ما يروونه إلا سماعه منهم، أما الحقبة التي يتكلم عنها ابن عباس رضي الله عنه، فقد بدأ من لم يكن له لقاء بالنبي ﷺ ولا صحبة بالحديث عنه ﷺ، وهؤلاء لم يَلْقَوْهُ، فحديثهم عنه ﷺ لابد أن يكون لهم إليه فيه

[١] السنة ومكانتها في التشريع ص (٨٩) ومسلم المقدمة ٨٤/١، والإلماع ص (٥٨).
[٢] المحدث الفاصل (ص ٤١٤) والتمهيد ٤٥/١.
[٣] مقدمة مسلم ص ١٣.

واسطة، ثم إنهم هم أنفسهم ليس لهم شرف الصحبة ولا نالهم تعديل من الله تعالى أو رسوله ﷺ، ثم بعد أن دبت الفتنة "وركب الناس الصعب والذلول" كان لابد من معرفة الواسطة المحذوفة في مرسل ذلك التابعي للتوثق من ثقة تلك الواسطة، وذلك بالطبع ـ بعد التوثق من ثقة ذلك التابعي نفسه الذي أرسل الحديث أولاً[١].

وقد أخرج مسلم في مقدمة صحيحه عن ابن سيرين أنه قال: " ل م يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم"[٢]، وقال مالك: "أول من أسند الحديث ابن شهاب"[٣]، وقال ابن عبد البر: "كان الناس على البحث عن الإسناد"[٤]، يعني بعد الفتنة، وأخرج الإمام أحمد في العلل[٥] ومسلم في مقدمة صحيحه[٦] عن ابن سيرين أنه قال: "إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم"[٧].

هذه الكلمة التي قالها ابن سيرين أصبحت شعاراً في ذلك العصر وفيما بعده إلى يوم الناس هذا، وإلى ما شاء الله، ما دام في الناس من يهمه أمر الدين، ويسعى لرضى ربه عز وجل .

وبدأ حَمَلَةُ الآثار في هذا العصر وأئمة التابعين بالتعبير عن حال الراوي والرواية وعن أوصافهما المختلفة بألفاظ كَثُر استخدامهم لها بعد ذلك حتى أصبحت مصطلحات ذات دلالة عرفية بين أهل الحديث.

---

[١] المنهج المقترح لفهم المصطلح ص ٢٩، ٣٠.
[٢] مقدمة مسلم ص١٥.
[٣] مقدمة الجرح والتعديل ٢٠/١.
[٤] الجرح والتعديل ٥٥/١.
[٥] علل الإمام أحمد رقم (٤١٩٩).
[٦] مسلم ١٤/١.
[٧] مسلم ١٤/١.

وهكذا أخذت الحاجة إلى حفظ السنة وإلى أدائها للأجيال في بناء علم جديد تميز به الإسلام، وتفرد به علماؤه، ألا وهو الإسناد وعلومه[1].

وإن المتتبع لمسيرة رواية الحديث النبوي في هذا العهد يجد أنها لا تعدو أن تكون طبقاً للمنهج الذي سار عليه الصحابة رضوان الله عليهم في تعاملهم مع أحاديث النبي ﷺ، ولا عجب في ذلك، فإن أكثرهم كان قد تربى علمياً وتهذب خلقياً وتأدب بما تأدب به صحابة النبي ﷺ حيث كان الصحابة القدوة الحسنة لهم وما ذلك إلا لقرب عهدهم بالنبي ﷺ[2].

## المطلب الثاني: أبرز سمات هذه الفترة:

١. الإقلال من الرواية: وقد وردت عنهم أخبار كثيرة في ذلك منها: ما رواه الخطيب البغدادي من طريق إبراهيم بن بشار عن سفيان بن عيينة عن ابن المنكدر قال: "الفقيه الذي يحدث الناس، إنما يدخل بين الله وبين عباده، فلينظر بم يدخل"[3].

وما رواه أيضاً عن مالك بن أنس قال: "كان ربيعة بن أبي عبد الرحمن يقول لابن شهاب: إن حالي ليست كحالك "فقال له ابن شهاب: وكيف ذلك؟ قال ربيعة: أنا أقول برأيي، فمن شاء أخذه فعمل به، ومن شاء تركه، وأنت تحدث عن النبي ﷺ فَتَحَفَّظْ في حديثك"[4] وما روى عن الشعبي أنه قال: "كره الصالحون الأولون الإكثار من الحديث، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت ما حدثت إلا بما أجمع عليه أهل الحديث"[5].

---

[1] المنهج المقترح ص (٣٤).
[2] المنهج العلمي ص (٤٤).
[3] الكفاية ص (٢٦٠).
[4] الكفاية ص (٢٦٢).
[5] تذكرة الحفاظ (٧٧/١).

ويعلل ابن عبد البر السبب في ذلك ويعزوه إلى خوف عدم فهم الحديث فيقول: "إنما عابوا الإكثار خوفاً من أن يرتفع التدبر والتفهم"[1].

٢. التثبت في قبول الأخبار: وذلك أنهم كانوا يرون أن رواية الحديث أمانة والأمانة مما يجب المحافظة عليها، فكيف إن كانت الأمانة متعلقة بالدين، ولذلك ورد عنهم من الأخبار ما يدل على شدة تثبتهم في قبول الأخبار، وأنه لا يقبل الخبر إلا ممن توفرت فيه صفات القبول، ومن ذلك ما روي عن طاوس بن كيسان اليماني أنه قال لسليمان بن موسى: "إن كان صاحبك ملياً فخذ عنه"[2] وما روى عن سعد بن إبراهيم أنه قال: "لا يحدث عن رسول الله ﷺ إلا الثقات"[3] وما روى عن ابن سيرين أنه قال: "التثبت نصف العلم"[4] وما روى عن عبد الرحمن بن يزيد أنه قال: "لا يؤخذ العلم إلا من شهد له بطلب الحديث"[5] والأمثلة كثيرة على ذلك.

وهذا مما يؤكد أن التابعين ـ وإن كان الغالب على عصرهم الصلاح والتقي ـ كانوا لا يكتفون بما عرف من حال الراوي من الصلاح والأمانة، وكانوا يشددون على أن الصلاح والتقوى يجب أن ينضم إليها الحفظ والضبط والإتقان.

٣. السؤال عن الإسناد: ويمكن القول بأن أسباب السؤال عن الإسناد في هذه المرحلة هي:

أ- ظهور الفرق السياسية في هذه الفترة ـ كالخوارج والشيعة.

---

[1] جامع بيان العلم وفضله ٢/٣٠.
[2] صحيح مسلم المقدمة (١/١٥).
[3] صحيح مسلم المقدمة (١/١٥).
[4] الكفاية ص (٢٥٧).
[5] الكفاية ص (٢٥١).

ب- شيوع الوضع واتساع نطاقه على مر الزمن.

وبسبب ذلك أصبح السؤال عن الإسناد ضرورة من ضرورات الدين وشرطا لقبول رواية الراوي حتى إن الإمام الزهري اعتبر عدم ذكر الإسناد جرأة على الله تعالى وعدم مبالاة بدين الله تعالى، واستخفاف بحديث النبي ﷺ، فقد روى الحاكم بإسناده عن بقية عن عتبة بن أبي حكيم أنه كان عند إسحاق بن أبي فروة وعنده الزهرى قال فجعل بن أبي فروة يقول: قال رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ، فقال له الزهري: "قاتلك الله يا ابن أبي فروة ما أجرأك على الله!! لا تُسْنِدْ حديثك؟ تحدثنا بأحاديث ليس لها خطم ولا أزمة"[1].

وقد توالت النقول عن كبار التابعين في الاهتمام بالإسناد والبحث عنه ومن ذلك ما روى عن سعيد بن المسيب أنه قال: "إني كنت لأسافر مسيرة الأيام والليالي في الحديث الواحد"[2].

وما روى عن أبي العالية الرياحي أنه قال: "كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله ﷺ، فما رضينا حتى رحلنا إليهم فسمعناها من أفواههم"[3].

وما روى عن هشام بن عروة أنه قال: "إذا حدثك رجل بحديث فقل عمن هذا"[4].

وما روي عن الأوزاعي أنه قال: "ما ذهاب العلم إلا ذهاب الإسناد"[5].

---

[1] معرفة علوم الحديث ص (٦). وانظر المنهج العلمي ص (٤٩).
[2] معرفة علوم الحديث ص ٨.
[3] التمهيد ٥٦/١.
[4] الجرح والتعديل ٣٤/٢.
[5] التمهيد ٥٧/١.

وما روي عن سفيان الثوري أنه قال: "الإسناد سلاح المؤمن فإذا لم يكن معه سلاح فبأي شيء يقاتل"[١]. وما روي عن ابن سيرين أنه قال: "إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم"[٢]. وما روى عن شعبة أنه قال: "كل حديث ليس فيه أنبانا وحدثنا فهو خَلٌ وبَقْلٌ"[٣]. هذا بعض ما روى عن العلماء حول أهمية الإسناد والتزامهم به .

٤. الرحلة في طلب الحديث: وهي سنة سار عليها التابعون متبعين في ذلك آثار سلفهم من الصحابة رضوان الله عليهم، والحق أن الرحلة في عهد التابعين كانت في ذلك مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالسؤال عن الإسناد والتثبت منه، فقد كان من الدواعي إلى التثبت من الإسناد والوقوف على صحيحه من ضعيفه الرحلة في طلبه، والوقوف على مصدره الذي خرج منه.

ويمكن القول أن المنهج في هذه الفترة ـ عهد النبوة والصحابة والتابعين ـ كان من أهم سماته وضع القواعد التأصيلية لقوانين منهج المحدثين، فكان بمثابة حجر الأساس الذي قام عليه المنهج في الفترات اللاحقة، حيث كان الغالب على المرحلة الثانية من هذا العلم هو التطبيق العملي لتلك القواعد.

## المبحث الرابع: جهود أتباع التابعين في تأصيل قواعد الرواية:

فإذا بلغ بنا الحديث عصر أتباع التابعين، فإننا قد دخلنا في آخر القرون المفضلة التي لم يفش الكذب إلا بعد ذهابها، وفي هذا الجيل لم تعد تسمع من يقول سمعت النبي

[١] المجروحين ١/٢٧.
[٢] صحيح مسلم المقدمة (١/١٤).
[٣] الكفاية ص (٤١٢).

ﷺ، بل أعلى ما يقع لهم من الرواية حديث التابعي عن الصحابي، بل كثيراً ما كانت تزيد الوسائط عن ذلك خاصة في طبقة صغار أتباع التابعين[1].

وفي هذا العصر بَعُد النقل وطالت سلسلة الإسناد، وتأكَّدت الحاجة إلى النظر في الإسناد وتعديل الناقلين للتمييز بين الصحيح من السقيم، فاتسع النقد، وبرزت مدارس نقدية متميزة، قال الإمام ابن حبان: "ثم أخذ عن هؤلاء ـ يعني التابعين ـ مسلك الحديث وانتقاد الرجال، وحفظ السنن، والقدح في الضعفاء، جماعة من أئمة المسلمين والفقهاء في الدين" ففي هذا العصر يقل أن تجد مصطلحاً من مصطلحات الحديث إلا وقد تداوله العلماء من أهل هذا العصر، ودار على ألسنتهم في التعبير عن أحوال الرواية المختلفة وعن مراتب الرواة قبولاً ورداً.

وإذا تذكرنا أن هذا العصر هو عصر : شعبة بن الحجاج (ت ١٦٠هـ)، ومالك بن أنس (ت١٧٩هـ) وسفيان الثوري (ت١٦١هـ)، وحماد بن سلمة (ت١٦٧هـ)، والليث بن سعد (ت١٧٥هـ) وعبد الله بن المبارك (ت١٨١هـ)، وهشيم بن بشير (ت١٨٣هـ)، وسفيان بن عيينة (ت١٩٨هـ) وعبد الله بن وهب (ت١٩٧هـ) ووكيع بن الجراح (ت١٩٧هـ)، ومحمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ) ويزيد بن هارون (ت٢٠٦هـ)، وعبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ) بل وفي هذا العصر الإمامان الجليلان يحيى بن سعيد القطان (١٩٨هـ) وعبد الرحمن بن مهدي (ت١٩٨هـ)، إذا تذكرنا هؤلاء جميعاً علمنا المدى الذي بلغته علوم الحديث في هذا العصر، ولا يبقى لديك شك في أن جل أنواع علوم الحديث وأجلها تكلم عنه علماء هذا العصر باسمه الذي صار علماً عليه، ومصطلحاً له دلالته العرفية بين أهل الفن.

[1] المنهج المقترح ص (٤٥).

قال الإمام ابن حبان[1]: "ثم أخذ عن هؤلاء مسلك الحديث والاختبار وانتقاء الرجال في الآثار، حتى رحلوا في جمع السنن إلى الأمصار، وفتشوا المدن والأقطار، وأطلقوا على المتروكين الجرح، وعلى الضعفاء القدح، وبيّنوا كيفية أحوال الثقات والمدلسين، والأئمة، والمتروكين حتى صاروا أعلاماً يقتدى بهم في الآثار، وأئمة يسلك مسلكهم في الأخبار جماعة منهم: أحمد بن حنبل ﷺ (ت٢٤١هـ)، ويحيى بن معين (ت ٢٣٣هـ)، وعلي بن عبد الله المديني (ت٢٣٤هـ)، وأبو بكر بن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ) وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي (ت٢٣٨هـ) وعبيد الله بن عمر القواريري (ت٢٣٥هـ) وزهير بن حرب أبو خيثمة (ت٢٣٤هـ) في جماعة من أقرانهم، إلا أن من أورعهم في الدين وأكثرهم تفتيشاً على المتروكين وألزمهم لهذه الصناعة على دائم الأوقات منهم: كان: أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلي بن المديني رحمة الله عليهم أجمعين".

ثم قال ابن حبان: "ثم أخذ عن هؤلاء مسلك الانتقاد في الأخبار وانتقاء الرجال في الآثار جماعة منهم: محمد بن يحيى الذهلى النيسابوري (ت٢٥٨هـ) وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت٢٥٥)، وأبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد الرازي (٢٦٤هـ) ومحمد بن إسماعيل الجعفي البخاري (ت٢٥٦هـ) ومسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ) وأبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ) في جماعة من أقرانهم، أمعنوا في الحفظ، وأكثروا في الكتابة، وأفرطوا في الرحلة واضبط على السنن والمذاكرة، والتصنيف والمدارسة حتى أخذ عنهم من نشأ من بعدهم من شيوخنا هذا المذهب، وسلكوا هذا المسلك"[2].

وهاتان الطبقتان الأخيرتان هما الذروة في طبقات النقاد الذين أصلوا قواعد الرواية فعصرهما هو العصر الذهبي للتأصيل وفيه تكامل ورسخ، وقد برزت مصنفات بعض

[1] المجروحين ١/٣٠-٤٧.
[2] المجروحين ١/٤٣، ٤٤، وانظر أسباب اختلاف المحدثين ١/٤٥، ٤٦.

أصحاب هاتين الطبقتين وأخذت أسماء مختلفة مثل: "التاريخ، معرفة الرجال، سؤالات، العلل، المسند بعلل"[1].

وقد حوت مصنفات هؤلاء النقاد كلام من تقدمهم من الأئمة فحفظوا لنا اجتهاداتهم النقدية ونقلوها لنا.

ومن المصطلحات التي تكلم عنها أتباع التابعين: (الصحيح) و(الضعيف) (المرفوع)، (الموقوف) و(المرسل)، (المنقطع) (المتصل) (المنكر) (الشاذ) (المضطرب) (الباطل) (ما لا أصل له) (التدليس) (التلقين) وحكمه وغير ذلك من طرق التحمل وألفاظ الجرح والتعديل ومراتبهما وغيرهما[2].

بل بلغ الأمر إلى درجة التقعيد والتنظير، وذلك في أواخر هذا العصر على يد الإمام الشافعي بما سطره في كتابه العظيم (الرسالة) من قواعد علوم الحديث[3].

لذلك فقد كان هذا العصر ـ بما وقع فيه من تطور وتأصيل لقواعد الرواية ومصطلحات المحدثين ـ إرهاصاً واضحاً للعصر الذي تلاه وهو العصر الذهبي للسنة وقاعدة راسخة أمكن عليها أن يتسق بناء هذا العلم بعد ذلك.

## المبحث الخامس: جهود أتباع أتباع التابعين في تأصيل قواعد الرواية:

وتبدأ هذه الفترة من بداية أصحاب الطبقة الرابعة وهم أتباع أتباع التابعين وتمتد إلى رأس سنة ثلاثمائة وهو الزمن الفاصل بين المتقدمين والمتأخرين من رواة الأخبار[4]، فالقرن الثالث الهجري [٢٠٠ – ٣٠٠هـ] هو القرن الذي شهدت فيه علوم كثيرة تحولاً عظيماً

[1] التاريخ لابن معين ١/١٠ و ١١.
[2] انظر الجرح والتعديل المقدمة (١٤، ٧٩، ١٤١، ١٥٨، ٢٣٨، ٢٦٩)، وانظر الرسالة للإمام الشافعي رقم ١١٨٤، وانظر فهرسة الرسالة الذي صنفه محققه العلامة أحمد محمد شاكر ص (٦٦٥ و ٦٦٦).
[3] المنهج المقترح ص (٤٨).
[4] ميزان الاعتدال ١/٤.

على يد علماء عاشوا في هذا القرن، كانوا أئمة العلم والدين، وقدوة في ذلك للأجيال من بعدهم، ويعتبر هذا القرن العصر الذهبي لقواعد الرواية، ففيه ظهرت مصنفات[1] تناول أصحابها مراتب الرواة وطبقاتهم وتعديلهم، وتجريح من يستحق الجرح منهم، وما يجب في قبول خبر الواحد من الديانة والضبط، وتحدثوا في أقسام الحديث وصفة كل قسم، وعلامة المنكر من الروايات حتى كانت هذه الفترة تمثل أزهى عصور الرواية، إذ ازدهرت فيها علوم الحديث وظهر فيها كبار أئمة الحديث، وأصحاب الصحاح من الجوامع والسنن والمسانيد، كالشافعي، وأحمد وابن المديني، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي والنسائي وغيرهم.

وقد بدأت علوم الدراية تتخذ في هذا العصر شكل الصنعة إذ العلوم صارت كلها صنائع[2] بعد عصر السلف رضي الله عنهم، وذلك بعد سنة مائة وخمسين للهجرة، بل ما انقضى هذا القرن إلا والسنة جميعها مدونة، ولم يبق من الروايات الشفهية غير المدونة في المصنفات بعد هذا العصر شيء يذكر، إلا روايات الأفاكين وأحاديث المختلقين أو أخبار الواهمين المخلَّطين[3].

فإذا كان تدوين السنة قد انتهى إلى هذه القمة في هذا العصر فكذلك شأن بقية علوم الحديث ومصطلحه خاصة للترابط بين التدوين ومصطلح الحديث ولا غرابة في ذلك إذا أن تدوين السنة ذاته (أصوله وآدابه) من علوم الحديث وله مصطلحاته الخاصة به.

وفي مجال التقرير لما بلغه مصطلح الحديث من قمة وتطور . ظهرت بعض الكتابات التنظيرية لبعض علوم الحديث ومصطلحاته، ومن أوائل ذلك جزء صغير نفيس لأبي بكر

[1] الرسالة ص ١٠٦. ومقدمة مسلم (١/ ٥٠ – ٦٥) والدارمي في مقدمة السنن (١/١١٢).
[2] مقدمة ابن خلدون ص (٤٣٠، ٤٤٧، ٤٥٤، ٤٥٥) قال ابن خلدون فلما انقرض السلف وذهب الصدر الأول وانقلبت العلوم كلها صناعة كما قررناه من قبل.
[3] المنهج المقترح ص (٥٢).

عبد الله بن الزبير الحميدي (ت٢١٩هـ) رواه عنه بشر بن موسى بن صالح الأسدي (ت٢٨٨هـ) ونثره الخطيب البغدادي في كتابه الكفاية في علم الرواية[١].

وكتب الإمام مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ) (مقدمة للصحيح) تعرض فيها لبعض قضايا علوم الحديث بقوة ووضوح، وكتب الإمام أبو داوود السجستاني (رسالته إلى أهل مكة) متعرضاً فيها لمنهجه في كتابه (السنن) ولمسائل تتعلق بعلوم الحديث.

ثم كتب الإمام الترمذي (ت٢٧٩هـ) كتاباً سمّاه (بالعلل) وعرف بعد ذلك (بالعلل الصغير) تكلم فيه عن بعض الاصطلاحات المهمة المشكلة، وعن بعض قواعد علوم الحديث بكلام نفيس مما حدا بالحافظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ) أن يعتني بشرحه عقب شرحه لجامع الترمذي، واشتهر شرح ابن رجب لعلل الترمذي، وأصبح بعد ذلك من أهم مصادر تأصيل قواعد الرواية.

وهكذا انتهى هذا القرن وقد بلغت فيه مصطلحات الحديث قمة تطورها مع باقي علوم الحديث، فلم يُبْقِ علماء هذا القرن لمن جاء بعدهم إلا واجب الحفاظ على ما خلفه لهم من سبقهم!! لأنه ما انتهى هذا القرن إلا والسنة نفسها قد تم تدوينها، مع ما واكب ذلك من القواعد والمصطلحات التي تخدمها ويُمَيَّزُ بها صحيحها من سقيمها[٢].

ثم دخل القرن الرابع الهجري وهو بالغ الثراء بذلك الإرث العظيم الذي خلفه له القرن الثالث لا في مجال تدوين السنة وحده، بل في مجال علوم الحديث واستمرار شيوع مصطلحاته.

---

[١] الكفاية (٤٠-٤١، ١٣٣، ١٤٦، ١٧٥، ١٧٩، ١٨١، ٢٦٥، ٢٦٦، ٤١٢، ٤٢٩، ٤٣٠).

[٢] وانظر المنهج المقترح ص ٥٩.

ورث القرن الرابع ذلك الإرث العظيم والكبير عن القرن الثالث، فناء به كاهله، وضعف عنه قليلاً مع بداية عوامل الضعف والمؤثرات الأجنبية على علوم السنة.

وقد أرّخ الإمام الذهبي بداية نقص علوم السنة، وبداية ظهور العلوم العقلية وتناقص الاجتهاد وظهور التقليد في آخر الطبقة التاسعة من كتابه (تذكرة الحفاظ) وهي طبقة كانت وفاة آخر من ذكر فيها سنة (٢٨٢هـ) وهو: (أبو محمد الفضل بن محمد بن المسيب الشعراني)[١] أي أن هذا الضعف قد بدأ في أواخر القرن الثالث ولم يزل في زيادة أوائل القرن الرابع فما بعده .

وهذا الضعف الناشئ في هذا القرن هو الذي جعل بعض أئمة هذا القرن يسارعون إلى تصنيف كتب جامعة مفردة في علوم الحديث ومصطلحه، وأجل ما كتب في علوم الحديث خلال هذا القرن كتاب (المحدث الفاصل بين الراوي والواعي) للرامهرمزي (ت٣٦٠هـ) و (معرفة علوم الحديث) للحاكم(٤٠٥هـ).

وقد أكد كل من الرامهرمزي والحاكم من أن هذا القرن كان قد شهد بداية الضعف في علوم الحديث حيث ذكرا أن سبب تصنيفهما لكتابيهما هو : ظهور بعض ملامح اختلال في طريقة طلب العلم، ناشئ عن ترف علمي (عُهِدَ مثله ممن ورث إرثاً عظيماً) أدى إلى بروز بعض القصور في علوم الحديث النبوي ومصطلحه بين أوساط فئام من طلبة الحديث[٢] خلال هذا العصر الذي عاش فيه الرامهرمزي والحاكم رحمهما الله تعالى.

ثم يقول الإمام الذهبي معبراً عن تناقص علم الحديث عبر العصور: "فلقد تفانى أصحاب الحديث وتلاشوا وتبدل الناس بطلبة يهزأ بهم أعداء الحديث والسنة ويسخرون منهم وصار علماء العصر . في الغالب . عاكفين على التقليد في الفروع من غير تحرير لها،

[١] تذكرة الحفاظ ٦٢٧/٢.
[٢] المحدث الفاصل ص (١٥٩ – ١٦٢) ومعرفة علوم الحديث (١-٢).

ومكبين على عقليات من حكمة الأوائل وآراء المتكلمين من غير أن يتعلقوا أكثرها، فعمّ البلاء واستحكمت الأهواء ولاحت مبادئ رفع العلم وقبضه من النا "[1].

نعم لم يشهد القرن الرابع تطوراً وارتقاء، لكنه استطاع أن يكون وعاء حافظاً لعطية القرن الثالث، ولا يلام علماء القرن الرابع على ذلك لأن سلفهم بلغ بعلم الحديث القمة وما بعد القمة إلا الانحدار أو الثبات!! لكن الثبات على القمة لا يمكن أن يدوم ولذلك بدأ الانحدار من القرن الخامس فما بعده[2].

ولا يعني ذلك أن الأمة فقدت ذلك الإرث العظيم بالكلية، حاشا وكلا!! لأن الإنحدار غير الهوي في الهاوية، ولا يعني ذلك أن الأمة فرطت في تراثها المكتوب، بل حافظت عليه أعظم حفاظ عرفته البشرية عبر دهورها مع كثرة الحوادث وتتابع النوائب وتعاقب الأزمان.

أما السنة ذاتها فهي محفوظة بحفظ القرآن الذي تعهد به منزله سبحانه وتعالى.

إن كل الذي وقع بسبب ذلك الانحدار عن قمة علوم السنة هو أننا غَمُضَتْ علينا عبارات القوم وتغبش علينا مناهج علمهم، فأصبحنا في حاجة إلى معرفة قواعد هذا العلم وضوابطه، وإلى من يترجم لنا معاني مصطلحاته، حتى يمكننا الاستفادة من هذه القواعد التي أصلها أولئك العلماء والتي لا غنى لنا عنها لأنها دين الله وملة الإسلام[3].

ولذلك فإن التصنيف في مصطلح الحديث (وأصوله) لم يزل يزداد عبر القرون لأن الشعور بالحاجة إليه لم يزل يزداد عبر القرون أيضاً.

---

[1] تذكرة الحفاظ (٢/٥٣٠).
[2] المنهج المقترح ص (١٧٤).
[3] المرجع السابق ص (١٧٥).

ولهذا لم يبدأ التصنيف الجامع المفرد في مصطلح الحديث وتأصيل قواعد الرواية إلا في القرن الرابع الهجري الذي بدأ فيه الضعف المشروع في محله، ثم ازداد في القرون المتتابعة بعده حتى هذا القرن .

## المبحث السادس: جهود علماء القرن الرابع فمن بعدهم في تأصيل قواعد الرواية، وفيه مطلبان:

### المطلب الأول: طور ما قبل كتاب ابن الصلاح ونعني به علماء القرن الرابع والخامس وبداية السادس:

قلنا في آخر المبحث الخامس إن التصنيف الجامع المفرد في مصطلح الحديث لم يبدأ إلا في القرن الرابع الهجري، حيث كتب الإمام الناقد ابن حبان البُستيّ مقدمة صحيحه (التقاسيم والأنواع)[1] ومقدمة (المجروحين)، ومقدمة (الثقات) وتعد هذه المقدمات ـ وخاصة مقدمة الصحيح والمجروحين ـ من أهم ما كتب في علوم الحديث لأنها أولاً لإمامٍ من أعيان علماء السنة في القرن الرابع، ثم لما حوته من مباحث مهمة وقواعد لا يستغنى عن العلم بها.

وفي القرن الرابع أيضاً: كتب الإمام أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (ت٣٨٨هـ) مقدمة كتاب (معالم السنن في شرح سنن أبي داود) ومع أن ما ذكره في تلك المقدمة كان قصيراً جداً، إلا أنه كان بها أول من قسم الحديث (من حيث القبول والرد) إلى ثلاثة أقسام صريحة: صحيح وحسن وضعيف.

ثم كتب أيضاً الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن خلف القَابِسي (ت٤٠٣هـ) مقدمة لكتابه (مختصر الموطأ عن مالك) المعروف بـ (الملخص) تناول في هذه المقدمة مسائل في الاتصال والانقطاع وصيغ الأداء والرفع وأنواعه ونحوها، أصل في هذه القضايا تأصيلاً مهماً[2].

---

[1] انظر الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان المقدمة.

[2] المنهج المقترح ص ١٨٤ وما بعدها.

ونقف مع إمامين من أئمة القرن الرابع هما: الرامهرمزي وأبو عبد الله الحاكم لأن لهما كتابين منفردين جامعين رائدين، أما الكتاب الأول فهو المحدث الفاصل بين الراوي والواعي وهو كتاب جليل، عظيم النفع جمع مادة ضخمة متنوعة في فنون الرواية وآدابها[1]، وأما الكتاب الثاني: فهو كتاب (معرفة علوم الحديث لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ) حيث تناول غالب أقسام الحديث، معنوناً لكل قسم بـ (نوع .. كذا) ذاكراً مصطلحه المسمى به، مبيناً سبب تصنيفه للكتاب حيث أشار إلى خلل أصاب بعض طلاب الحديث في طلبهم له مُتَعلِقٍ بأسلوب التلقي وصرف الهمم، قال الحاكم: "أما بعد: فإني لما رأيت البدع في زماننا كثرت ومعرفة الناس بأصول السنن قلت، مع إمعانهم في كتابة الأخبار وكثرة طلبها، على الإهمال والإغفال دعاني إلى ذلك تصنيف كتاب خفيف ..."[2] فالكتاب كله تأصيل لمصطلحات المحدثين التي أصلها أهل الحديث أنفسهم.

وعلى هذا المنهج الذي سلكه الإمام الحاكم ـ في الأغلب ـ صنف الحافظ أبو نعيم الأصبهاني "مُسْتخرجه على معرفة علوم الحديث للحاكم"[3]. لأن طبيعة المستخرجات تلزم ذلك[4].

هكذا كان جهود علماء القرن الرابع في تأصيل قواعد الرواية، وما أن نلج (القرن الخامس) حتى نجد أننا انْقَدْنا إلى إمام المحدثين في عصره ولمن جاء بعد عصره: الحافظ أبي بكر الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) الذي قال عنه ابن نقطة الحنبلي (محمد بن عبد الغني البغدادي ت٤٦٣هـ) في كتابه (التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد) و(تكملة الاكمال): "وله مصنفات في علوم الحديث لم يُسْبَق إلى مثلها، ولا شُبْهَةً عند كل لبيب، إن المتأخرين

[1] انظر المحدث الفاصل (ص ١٥٩ – ١٦٢).
[2] معرفة علوم الحديث (ص ١–٢) وانظر (ص ١٨، ١٩).
[3] نزهة النظر المقدمة (ص ٤٧)، وتدريب الراوي (٣٥/١).
[4] وقفت على مسألة نص الحافظ ابن حجر على متابعة أبي نعيم فيها للحاكم، انظر النكت على كتاب بن الصلاح (٦٢٢/٢).

من أصحاب الحديث عيال علي أبي بكر الخطيب"[1] الخطيب البغدادي الذي "قلَّ فن من فنون الحديث إلا وقد صنف فيه كتاباً مفرداً"[2] كما يقول الحافظ ابن حجر، بحر من بحور الحديث، كل مؤلفاته تأصيل لهذه القواعد، لكن أجلَّ كتبه في قوانين الرواية هو (الكفاية في علم الرواية) ذكر في مقدمته سبب تصنيفه له حيث يقول: "وقد اسْتَفْرَغَتْ طائفة من أهل زماننا وسعها في كتب الحديث والمثابرة على جمعه، من غير أن يسلكوا مَسْلَك المتقدمين، وينظروا نَظَر السلف الماضين، في حال الراوي والمروي، وتمييز سبيل المرذول والمرضى"[3] ثم صرح الخطيب بمنهجه في مقدمة كتابه تصريحاً واضحاً حيث قال: "وأنا أذكر ـ بمشيئة الله تعالى وتوفيقه ـ في هذا الكتاب: ما بطالب الحديث حاجة إلى معرفته والمتفقه فاقة إلى حفظه ودراسته، من بيان أصول علم الحديث وشرائطه وأشرح من مذهب سلف الرواة والنقلة في ذلك ما يكثر نفعه"[4] فهذا واضح أنه يؤصِّل قواعد الرواية والنقلة.

وفي هذا القرن كتب الحافظ أبو يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد الخليلي (ت٤٤٦) مقدمة لكتابه (الإرشاد في معرفة علماء الحديث) وهي مقدمة نفيسة تعرّض الخليلي فيها لمصطلحات مهمة بالشرح والتمثيل لها، وكلامه فيها من معين التأصيل.

وكتب في هذا القرن الإمام البيهقي (ت٤٥٨) كتابه (المدخل إلى السنن الكبرى) وجزء من هذا الكتاب مفقود ولعله القسم الذي خصصه مؤلفه للمصطلح.

ومن علماء القرن الخامس الإمام أبي عمر ابن عبد البر الأندلسي (يوسف بن عبد الله بن محمد النمري، ت٤٦٣هـ) حيث كتب مقدمة حافلة لكتابه العظيم (التمهيد لما في

[1] التقييد لابن نقطة (ص ١٥٤) وتكملة الإكمال له (١٠٣/١).
[2] نزهة النظر (ص ٤٨).
[3] الكفاية للخطيب (ص ١٨).
[4] الكفاية (ص ٢٢).

الموطأ من المعاني والأسانيد) خصها لعلوم الحديث وشرح مصطلحه، وإن الناظر في هذه المقدمة يلحظ أنه اهتم بالناحية التأصيلية لهذه القواعد، وهي تمتاز باتباعها المنهج السليم في فهم مصطلح الحديث[1].

ومن بين علماء هذا العصر: أبو محمد ابن حزم (علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت٤٥٦هـ) حيث تعرض لعلوم الحديث في كتابه (الإحكام في أصول الأحكام) وهو كتاب في أصول الفقه لا في علوم الحديث[2].

ومن علماء القرن الخامس القاضي عياض بن موسى بن عياض السَّبْتي المالكي (ت٥٤٤هـ) ولهذا الإمام تَعَرَّض واسع الأبواب من علوم الحديث في كتابين له، هما: "الإلماع إلى معرفة الرواية وتقييد السماع" ومقدمة كتابه (إكمال المعْلِم بفوائد مسلم للمازري)، إلا أن كتابه الأول "الإلماع" كتاب مُخْتَصٌ بأصول الرواية "طرق التحمل وحجيتها" وتقييد السماع (كألفاظ الأداء) أما كتابه الآخر فهو شرح لمقدمة الإمام مسلم لصحيحه، وحيث تعرَّض الإمام مسلم في مقدمته لصحيحه لبعض القضايا المهمة في علوم الحديث، تناولها القاضي عياض بالشرح[3].

ومن علماء هذا القرن: قاضي الحرمين الحافظ أبو حفص الميَّانِشِي (عمر بن عبد المجيد بن عمر القرشي نزيل مكة (ت٥٨٣هـ) كتب رسالة صغيرة سَمَّاها: (ما لا يسع المحدث جهلُه).

---

[1] انظر التمهيد ١/١٢، ١٣، ٢٧.
[2] الإحكام لابن حزم ١/١٤٣، ١٤٩.
[3] إكمال المعلم (ص ١٨٠، ١٨٢، ١٨٤، ٣٢٣، ٣٢٧).

وهناك مشاركات أخرى مما بلغنا، وما فُقِد فأكثر!! ومن بين ما بلغنا من هذه المشاركات مثل: كتاب (شروط الأئمة الستة لأبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي (ت٥٠٧هـ) ومقدمة كتاب (الوجيز في ذكر المجاز والمجيز) لأبي طاهر أحمد بن محمد السِّلَفي (ت٥٧٦هـ) وكتاب (شروط الأئمة الخمسة) لأبي بكر محمد بن موسى الحازمي (ت٥٨٥هـ) ومقدمة كتاب (جامع الأصول في أحاديث الرسول) لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزرى ابن الأثير (ت٦٠٦هـ) كل هذه الجهود وغيرها مما لم نذكره بذلها علماء القرن الرابع والخامس وبداية السادس في تأصيل قواعد الرواية.

## المطلب الثاني: كتاب ابن الصلاح فما بعده:

إن (معرفة أنواع عِلْم الحديث) لابن الصلاح (ت٦٤٣هـ) من الكتب النادرة في العلوم الإسلامية، التي ما أن صُنِفَت حتى أصبحت إماماً لأهل فنِّها، وهَمًّا لطلاب ذلك العلم ولعلمائه، وأصلاً أصيلاً يرجعون إليه، ومورداً لا يصدرون إلا عنه ولا يحومون إلا عليه[1].

يقول الحافظ بن حجر في وصفه (فهذب فنونه، وأملاه شيئاً بعد شيء فلهذا لم يحصل ترتيبه على الوضع المتناسب، واعتنى بتصانيف الخطيب المتفرقة، فجمع شتات مقاصدها، وضم إليها نُخَبَ فوائدها، فاجتمع في كتابه ما تفرق في غيره، فلهذا عكف الناس عليه، وساروا بسيره، فلا يُحصى كم ناظمٍ له، ومختصرٍ، ومستدرك عليه ومُقتَصِر، ومعارِضٍ له ومُنْتَصِر)[2].

[1] المنهج المقترح ص (٢١١).
[2] نزهة النظر ص (٥١).

وقد عبر ابن الصلاح نفسه عن حالة عصره وأهله تجاه علوم السنة مبيناً سبب تأليفه لكتابه (معرفة أنواع علم الحديث) حيث قال في مقدمته: "ولقد كان شأن الحديث فيما مضى عظيماً، عظيمة جموعُ طلبته، رفيعة مقادير حُفَّاظه وحَمَلَتِهِ، وكانت علومهم بحياتهم حية، وأفنانُ فنونه ببقائهم غضة، ومغانيه بأهله آهِلَةً . فلم يزالوا في انقراض، ولم يزل في اندراس، حتى آضت به الحال إلى أن صار أهله إنما هم شرذمة قليلة العدد، ضعيفة العُدَد، لا تُعْنَى على الأغلب في تحمله بأكثر من سماعه غُفْلاً. ولا تتعنَّى في تقييده بأكثر من كتابته عُطْلاً، مُطَّرِ حين علومه التي بها جَلَّ قدره، مباعدين معارفه التي بها فَخمَ أَمْرُهُ . فحين كاد الباحث عن مشكلة لا يُلْفي له كاشفاً، والسائل عن علمه لا يلقى به عارفاً، مَنَّ الله الكريم تبارك وتعالى وله الحمد أَجْمَعُ بكتاب (معرفة أنواع علم الحديث) هذا ...)[1]. ويتضح من هذا منهجه في تأصيل قواعد العلم، الشيء الذي جعل كتابه هذا هماً للاحقين، شرحاً واختصاراً، ونظماً وانتقاداً، وانتصاراً، متأثرين بمنهجه سائرين على دربه.

منهم الإمام النووي، والعراقي، والذهبي، وابن دقيق العيد، والعلائي، والزركشي، وابن الملقن،وابن جماعة والسخاوي وابن حجر وغيرهم فقاموا بدراسة كتابه ونقده وتكميله، فظهرت مؤلفات كثيرة ومصنفات[2] غزيرة موسعة، مليئة بالنقول والأمثلة، إضافة إلى تحريرات وفوائد وفرائد لا يستغنى عنها إلا من استغنى عن هذا العلم.

وإن الناظر في هذا الكم الكبير من المؤلفات التي تند عن الحصر يلحظ جهداً كبيراً بذله سلف هذه الأمة في تأصيل قواعد الرواية والنقل.

[1] علوم الحديث لابن الصلاح (ص ٥-٦).
[2] انظر تدريب الراوي (الجزء الأول ١/٦، ٧، ٨، ٩، ١٠).

فقد توالت على خدمة السنة جهود مخلصة من أبناء هذه الأمة وقد تنوعت هذه الخدمة حتى أصبحت المكتبة الحديثية من الضخامة بمكان، وتعددت فيها المصنفات، وكان للمعاصرين أيضاً دورهم البارز في المساهمة، وقد تمثلت خدمتهم في أمرين هما التحقيق والتصنيف، ففي مجال التحقيق كانت هناك جهود جبارة تمثلت في تحقيق كتب الأحاديث الأمهات، وكتب الرجال وكتب شروح الحديث، وكتب الأحاديث الفرعية وهي الكتب التي لا تُعْنى بذكر[1] الإسناد، وكتب العلل، وكتب المصطلح، وكتب التفسير بالمأثور، وغيرها .

أما في مجال التصنيف: فقد صنف المعاصرون في الحديث وعلومه، وجهدهم هذا يمكن تصنيفه حسب الموضوعات التالية:

١. كتب التخريج: حيث صنف بعض المعاصرين كتباً في تخريج الحديث.
٢. كتب مصطلح الحديث: صنف المعاصرون كتباً في مصطلح الحديث بقصد تبسيط هذا العلم وتيسيره وتقريبه للطلبة في الجامعات والمعاهد العلمية وغيرهم.
٣. أيضاً صنف المعاصرون كتباً في الدفاع عن السنة ودفع الشبه عنها.
٤. وصنفوا أيضاً في تاريخ السنة النبوية.
٥. وفي شرح الأحاديث.

كما صنف آخرون في مجال الدراسة الأدبية للحديث، وفي وضع فهارس لكتب الحديث وفي الدفاع عن الصحابة، وفي ترتيب كتب الأحاديث الأمهات، وفي تجميع أحاديث كتب معينة وفي تيسير الوصول إلى الأحاديث في مظانها الأصلية وغير ذلك من الجهود التي بذلها أبناء هذه الأمة والتي لازالت تتواصل إلى يومنا هذا، وإن الناظر في الدراسات الحديثية المعاصرة يجد أنها قد كثرت كثرة بالغة، ولو استعرض باحث الدراسات

[1] جهود المعاصرين في خدمة السنة المشرفة ص (١٨) وما بعدها.

الجامعية التي لا تزال مخطوطة حبيسة مكتبات الجامعات التي كتبت فيها، لرأى عدداً هائلاً، وكماً مذهلاً من ألوف الصفحات المكتوبة والمحققة، ولو استعرض ثبت معرض من معارض الكتب المتكاثرة في أرجاء العالم الإسلامي عامة، والعربي منه خاصة لرأى ألوف العناوين في علوم الحديث الشريف[1].

ولا شك أن الأمة اليوم بحاجة إلى المزيد من أولئك المنافحين البَرَرَة الزائدين عن حِمَى السنة، فلا بَقَاء ولا نماء للأمة إلا إذا هي نَجَحَت ـ غير سَائِرَةٍ القَهْقَرَى ـ في أن تصل مستقبلها بماض كانت فيه ذات سيادة وريادة، فَتُعْنَى بتراثها ونظامها تأصيلاً وتحديثاً وتُحَلَّى جوانب الفَرَادَة والتَّميُّز في عطائها الحضاري، وتُنَافِحُ عن مُقومِاتِ وجودها، لِتَقِي ناشِئَتِها ومُتَعَلِّمِيها من مَخَاطِرِ الإنْبِتَاتِ والإسْتِلاَب ولتنمي فيهم روح العزة والكرامة، ولتزودهم بفرقان يميزون به الباطل من الحق، والخبيث من الطيب.

ونظراً لاتساع رقعة العالم الإسلامي وتفرق أولئك الأئمة فيه وكثرة مؤلفاتهم في نقد السنة ورواتها ـ أصبح تأصيل وتحرير هذه القواعد بالنسبة لمن جاء بعدهم ليس بالأمر اليسير، فبذلت جهود كبيرة لهذا الغرض وتسابق الأئمة للتأليف في تأصيل هذه القواعد وحصرها وتقريبها لطلبة العلم[2].

ثم إن هذه القواعد بحاجة إلى أن تكتب بلغة العصر، ليسهل فهمها وتطبيقها .

لهذا كله فإنني أرى ـ ونحن نشهد بحمد الله تعالى نهضة علمية مباركة لاسيما في هذا العلم ـ أن يقوم أهله بالكتابة والتأليف في قواعد نقد السنة وتأصيلها كتابة تترك أثرها

[1] علم تخريج الحديث ونقده ص (٩).
[2] الجرح والتعديل للآحم ص (٥).

الطيب في الدراسات النقدية للسنة النبوية تساعد على أن تكون هذه النهضة مبنية على أسس متينة متصفة بالجدية والابتكار.

كما أدعو نفسي وإخواني وطلابي للقراءة الواسعة في كتب أئمة هذا العلم هؤلاء الذين أصّلوا لنا قواعد الرواية . حتى نتمكن من الوقوف على قدر كاف من النصوص التي تستخلص القواعد منها، فإن أكثر ما يتطرق الخلل إلى القاعدة إذا كان السبر ناقصاً. والاعتماد في تحريرها على قدر يسير من نصوص الأئمة . هذا والله من وراء القصد.

## الخاتمة: وتتضمن نتائج البحث:

١. إن الحركة العقلية عند المسلمين نشأت في أحضان الدين، فالقرآن هو منبع الأحكام التي تنظم حياة الأمة .
٢. إن علوم الحديث هي من أهم العلوم التي طبعت الفكر الإسلامي وأمدته بمنهج يمكن أن يطلق عليه أنه منهج إسلامي محض لا يستطيع أن يمار في ذلك ممار .
٣. إن علوم الحديث تمثل العقلية الإسلامية في تميزها الواضح وتمثل منهج المسلمين في نقل الخبر ومعالجته.
٤. قدم المسلمون منهجاً متكاملاً دقيق المصطلح، مستقيم المعيار، ظهر واضحاً جلياً في تطبيق إسلامي شامل حفظ الحديث الشريف وضبطه باعتباره المصدر الثاني .
٥. يؤكد البحث أن المحدثين استلهموا قواعد منهجهم من القرآن الكريم الذي حدد لهم مسار المنهج وأفضى بهم إلى طرائقه ووسائله ومعاييره .
٦. يؤكد البحث على أن المحدثين استطاعوا أن يطبقوا المنهج تطبيقاً عملياً أفاد الأمة الإسلامية أولاً في توثيق مصدرها الثاني للتشريع، وأفاد الفكر البشري ثانياً في إرساء قواعد لمنهج نقد الخبر .

٧. مواكبة النقاد للرواة في كل عصورهم بحيث لم يخل عصر من عصور الرواية من جيل هؤلاء النقاد بحيث تم استيعاب جملة الرواة للحديث وصفاً وحكماً .

٨. إن المحدثين كأهل اختصاص كانوا من أكثر الناس جدية في البحث وموضوعية في طرح القضايا بهدف معرفة أسباب الظواهر المطروحة للبحث، والدوافع التي أدت إلى وجودها وربط الأسباب بالمسببات، ومن ثم التوصل إلى النتائج والغايات من تلك الدراسة .

٩. إن المحدثين من أكثر الناس إدراكاً لقيمة المنهج الذي يقوم على حشد الإمكانات والطاقات الفكرية، وأدوات البحث وآلية العمل على نحو أكدوا من خلاله سلامة المنهج ووضوح الرؤية، والحرص على تحقيق الهدف من خلال نباهتهم وطريقة تفكيرهم، وتذوقهم للعلم وبحث موضوعاته ومعالجة جزئياته وهذا الذي قصدناه بالتأصيل .

١٠. إن إلقاء نظرة فاحصة على ما خلفه سلفنا الصالح من تراث فكري منهجي في ميدان تأصيل قواعد الرواية لهو أمر يستحق التقدير والإعجاب .

## ثبت المصادر والمراجع:

القرآن الكريم .

١. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لعلاء الدين علي بن بلبان الفارسي تحقيق شعيب الأرناءووط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٨هـ .
٢. الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم الأندلسي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٠هـ .
٣. الأربعين النووية لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي بشرح عبد المجيد الشرنوبي، مطبعة عاطف وشركاه، القاهرة .
٤. أسباب اختلاف المحدثين لخلدون الأحدب – الدار السعودية للنشر والتوزيع .
٥. أصول علم الحديث بين المنهج والمصطلح . د. أبو لبابة حسين، دار الغرب الإسلامي ١٩٩٧م، ط الأولى .
٦. إكمال المعلم بفوائد مسلم (المقدمة) للقاضي عياض، تحقيق د. الحسين محمد شواط، دار ابن عفان الخبر، ط الأولى .
٧. الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع . للقاضي عياض تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط الثانية، ١٣٩٨هـ .
٨. تاريخ يحيى بن معين في الرجال، رواية خالد الدقاق، تحقيق أ.د. أحمد محمد نور سيف، دار المأمون للتراث.
٩. تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة عبد الله بن مسلم، دار الكتاب العربي، بيروت.
١٠. تحذير الخواص عن أحاديث القصاص للسيوطي . جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ) تحقيق محمد الصباغ – المكتب الإسلامي، بيروت .

١١. تحرير علوم الحديث لعبد الله يوسف الجديع، مؤسسة الريان، بيروت، ط الأولى، ٢٠٠٣م .
١٢. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٦م .
١٣. تذكرة الحفاظ للذهبي محمد بن أحمد بن عثمان، دار الفكر العربي، بيروت .
١٤. التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد لابن نقطة، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٨هـ .
١٥. تكملة الإكمال لابن نقطة، تحقيق د. عبد القيّوم عبد رب النبي، جامعة أم القرى، ط الأولى، ١٤٠٨هـ.
١٦. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر تحقيق هيئة من العلماء بوزارة الأوقاف في المملكة المغربية .
١٧. جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، نشر دار ابن الجوزي، الدمام، ط الأولى، ١٤١٤هـ .
١٨. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
١٩. الجرح والتعديل للرازي، ابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ) مصور عن طبعة حيدر أباد، الهند .
٢٠. الجرح والتعديل لإبراهيم بن عبد الله اللاحم، مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى، ١٤٢٤هـ .
٢١. جهود المعاصرين في خدمة السنة المشرفة لمحمد عبد الله أبو صعيليك، دار القلم، دمشق، ط الأولى، ١٩٩٥م .
٢٢. خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يعلمها أصحابه، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الرابعة .

٢٣. الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي (٤٦٣هـ) تحقيق د. نور الدين عتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ .
٢٤. الرسالة للإمام الشافعي محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر، المطبعة السلفية، مصر.
٢٥. السنة ومكانتها في التشريع لمصطفى السباعي، مكتبة العروبة، القاهرة، ١٣٨٠هـ .
٢٦. سنن ابن ماجة لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ) حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ١٣٧٢هـ .
٢٧. سنن أبي داود سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥) تعليق عزت عبيد الدعاس، دار الحديث، حمص، ط الأولى، ١٣٨٨هـ .
٢٨. سنن الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (٢٧٩هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة مصطفى البابي، ط الثانية، ١٣٩٨هـ، مصر .
٢٩. سنن الدارمي لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي تحقيق وتعليق السيد عبد الله هاشم، فيصل أباد حديث أكادمي، ١٤٠٤هـ .
٣٠. سنن النسائي لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ) مع حاشية السندي شرح الحافظ جلال الدين السيوطي، المكتبة العلمية، بيروت .
٣١. صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، المكتبة الإسلامية، استانبول، ١٩٨١م .

٣٢. صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ) تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، ١٤٠٠هـ .
٣٣. العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد بن حنبل تحقيق الدكتور وصي الله عباس، ط الأولى، ١٤٠٨هـ .
٣٤. علوم الحديث لابن الصلاح تحقيق د. نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق، ط الثالثة، ١٤٠٤هـ .
٣٥. عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري للعيني بدر الدين محمود، المطبعة المنيرية، بيروت، ط الأولى، مصر.
٣٦. فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي . ط السلفية وانظر طبعة الحلبي، ١٩٥٩م .
٣٧. قواعد التحديث لمحمد جمال الدين القاسمي تحقيق محمد بهجة العطار عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط الثانية، ١٩٨١م .
٣٨. الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي تقديم محمد الحافظ التجاني، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط الثانية، ١٩٧٢م .
٣٩. المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لأبي حاتم بن حبان البستي تحقيق محمود إبراهيم زائد، دار الوعي بحلب، ١٩٧٥م .
٤٠. محاضرات في علم تخريج الحديث ونقده، د. عداب الحمشي، دار الفرقان، الأردن، ط الأولى، ١٤٢٠هـ .
٤١. محاضرات في علوم الحديث لمصطفى أمين التازي، مطبعة دار التأليف .

٤٢. المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للقاضي الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق د. محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، ط الثالثة، ١٩٨٤م .

٤٣. معرفة علوم الحديث للحاكم تحقيق معظم حسين المكتب التجاري، بيروت، ط الثالثة، ١٣٩٧هـ .

٤٤. المقدمة لابن خلدون، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، ط الثالثة، ١٩٦٧م، بيروت .

٤٥. المنهج العلمي للتعامل مع السنة النبوية عند المحدثين، د. حمزة أبو الفتح بن حسين، قاسم النعيمي، دار النفائس، الأردن، ط الأولى، ١٩٩٩م .

٤٦. المنهج المقترح لفهم المصطلح، الشريف حاتم بن عارف العوني، دار الهجرة، الرياض، ط الأولى .

٤٧. الموطأ للإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ) تخريج وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي .

٤٨. ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي تحقيق على البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ط الأولى، ١٣٨٢هـ.

٤٩. نزهة النظر في شرح نخبة الفكر للحافظ ابن حجر، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.

٥٠. النكت على كتاب ابن الصلاح للحافظ ابن حجر تحقيق ربيع بن هادي، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط الأولى، ١٤٠٤هـ.